الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الحيـوان فـي شعـر أبـي ذؤيب الـهذلي

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي.

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
- مريم حميمود

إشراف الأستاذ :
- بشير عروس

السنة الجامعية: **2016/2015**

الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الحيـوان فـي شعـر أبـي ذؤيب الـهذلي

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي.

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالب(ة):
- مريم حميمود

إشراف الأستاذ :
- بشير عروس

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما
إلى من لا يمكن للأرقام أن تحصي فضائلهما
إلى والدي العزيزين أطال الله في عمرهما
إلى شريكي في الحياة أطال الله بعمره محمد
إلى أزهار حياتي أخواتي :أميرة،سلوى،خولة،رانية
إلى برعم الحياة :أخي صلاح الدين
إلى أجزاء من روحي أختي نسيمة وزوجها كمال وابنهما محمد إسلام
إلى جدتي أطال الله بعمرها
إلى عائلتي جميعا
إلى أحبتي دون استثناء
إلى أساتذتي
إلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد
أهدي ثمرة جهدي

مريم

شكر وتقدير

عملا بقول أحب الخلق سيدنا و حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم "أفلا أكون عبدا شكورا "

إذا كان من كمال الفضل الشكر والتقدير فإني أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف*** بشير عروس*** الذي وجهني إلى هذا البحث وأعانني فيه فشكرا على جهده المبذول وعلى عنائه

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءة هذا البحث ومناقشتهم لي

وإلى كل أساتذة معهد الآداب واللغات

كما لايفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني ولو بكلمة طيبة من أساتذة وطلبة .

شكرا

المقدمة

ركّب الله في الإنسان العقل، ومكّن فيه من الحيل ما به يستألف كثيرا من الحيوان الذي يقاسمه البيئة والحياة، ويواجه كثيرا ممّا لم يستألف، والإنسان في كلّ ذلك ما يزال يلاحظ ويتعلم ويتأثر ويتمثل... وقد تكون مدوّنة الشعر العربيّ القديم أغنى مدوّنة بحضور الحيوان، وبخاصّة ديوان الهذليّين، وأشعرُهم أبو ذؤيب؛ من هنا جاء بحثي الموسوم بـ "**الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذليّ**" محاولةً للإجابة عن كثير من الأسئلة، أهمّها:

- كيف نظر الشاعر العربيّ إلى الحيوان؟
- هل اقترن ذكر الحيوان في شعر أبي ذؤيب بأغراض مخصوصة؟
- هل خصّ أبو ذؤيب أنواعا معيّنة من الحيوان في شعره؟
- كيف تجلّى الحيوان في شعر أبي ذؤيب؟ وماذا جسّد؟ وما علاقته بعواطف الشاعر؟

استندت في بحثي هذا إلى المنهج الموضوعاتي مع الإفادة من المنهج الأسطوريّ بقدر الحاجة، فانقسم عملي إلى:

فصل أول بعنوان: الحيوان والأغراض الشعرية وتعرضت فيه إلى الحيوان في الرثاء الحيوان في النسيب، الحيوان في الفخر، الحيوان في المدح، الحيوان في الحنين، الحيوان في الحكمة والحيوان في المثل الشعري .

وفصل ثان بعنوان: صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي وتعرضت فيه إلى الحيوانات الأليفة، الحيوانات المتوحشة، الحيوانات الضارية، الطيور بأنواعها المستأنسة والغير المستأنسة والضارية، الزواحف وغيرها إضافة إلى النحل.

وفصل ثالث بعنوان: الحيوان وعاطفة الشاعر وتعرضت فيه إلى غلبة الحزن وبوارق الأمل لدى شاعرنا.

ثم خاتمة لأهم النتائج.

وقد أفاد بحثي هذا من ديوان "أبي ذؤيب الهذلي" ودراسة نورة الشملان " أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره" وكذا دراسة نصرت عبد الرحمن "الواقع والأسطورة في ديوان أبي ذؤيب الهذلي".

وكان لضيق الوقت أثره البالغ في إنجاز هذا العمل لكنني غالبته بما تقاطع من بحثي مع دراسات سابقة، وكذلك صعوبة اللغة لأن أبا ذؤيب يستخدم الغريب من الألفاظ.

وأخيرا أتقدم بالشكر الخالص إلى الأستاذ المشرف "بشير عروس" الذي أفادني في بحثي وأرشدني إليه، وكان لي نعم المشرف والمرشد.

وإن هذا العمل لا يعدو أن يكون محاولة لوضع بنية في صرح العلم والمعرفة.

الفصل الأول:

الحيوان والأغراض الشعرية

الفصل الأول: الحيوان والأغراض الشعرية

1- الحيوان في الرثاء.

2- الحيوان في النسيب (الغزل).

3- الحيوان في الفخر.

4- الحيوان في المدح.

5- الحيوان في الحنين.

6- الحيوان في الحكمة.

7- الحيوان في المثل الشعري.

لقد ساعدت بيئة الشاعر الجغرافية على انتشار الحيوانات فيها بأنواعها الأليفة كالإبل والخيل والمتوحشة كالحمر الوحشية والثور الوحشي والبقر الوحشي، الطيور كالحمامة الضارية كالذئب والأسد وقد تناول الشاعر هذه الحيوانات في شعره ليعبر لنا عن أحواله ومشاعره، وسأتناول في هذا الفصل الحيوان والأغراض الشعرية في ديوان أبي ذؤيب فالحيوان أصلا هو الصورة الفنية في شعره، والشاعر على درايته ومعرفته بطبائع الحيوان لهذا وصفه في أدق صورة له ومنه يمكنني تصنيف الحيوان في الأغراض الشعرية على النحو التالي:

1- الحيوان في الرثاء:

إن الرثاء من الفنون التي أجاد فيها الشعراء الجاهليون لأنه تعبير عن خلجات النفس الحزينة وفيه حصرات كثيرة وهذا ما جعله من الموضوعات القريبة من النفس، ولقد كانت حياة الجاهلي قائمة على الحرب والمعارك والدماء لهذا كثر هذا النوع من .

ويعد شعراء قبيلة هذيل ممن برعوا في هذا الفن وأكثر من برع فيهم أبو ذؤيب الذي عرف بشعر الرثاء، يقول إسماعيل النتشة: "وشعراء هذيل يمتازون بالقدرة الفائقة على فن الرثاء، ولكن لم أجد شاعرا منهم يفوق أبا ذؤيب في هذا الفن، ولم يبلغ فيه أحدهم مبلغه في الإجادة والإحسان"[1].

وهذا ما نلحظه من خلال عينته المشهورة والتي تعد من أجمل ما قيل في الرثاء وقد رثى بنيه فيها عبر ثلاث قصص مؤلمة جاءت كل واحدة منفصلة عن الأخرى، فنراه يقول:

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائد أربع

صخب الشوارب لا يزال كأنه عبد لآل أبي ربيعة مسبع

1- إسماعيل داود محمد النتشة: أشعار هذيل وآثارها في محيط الأدب العربي، دار البشير مؤسسة الرسالة، د ط، د ت ج2، ص 135.

أكل الجميـم وطاوعته سمحـج مثل القناة وأزعلتـه الأمـرع

بقـرار قيعـان سقاها وابـل واه فأثجـم برهـة لا يقلـع

فلبثن حينا يعتلجـن بروضـه فيجد حينا في العلاج ويشمع[1]

الشاعر هنا يستعين بقصة الحمار الوحشي واصفا حياته مع أتنه وهو متمتع بحريته التي سرعان ما كانت نهايتها الهلاك والموت ثم انتقل إلى القصة الثانية، الثور الوحش، وما دار في المعركة بينه وبين الصياد وكلابه فنجده يصف هذه المعركة فيقول:

والدهر لا يبقـى علـى حدثانـه شبـب أفزتـه الكـلاب مـروع

شعف الكـلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

ويعود بالأرض إذا مـا شفـه قـطـر وراحتـه بليـل زعـزع[2]

الشاعر هنا في قصيدته هذه يتناول الحيوان وصراعه مع الموت وهذا راجع للتشابه الموجود بين قصة الإنسان مع الموت والهلاك في الحروب بقصة الحيوان في الصيد والطرد وقد استخدم حيوانات في هذا الفن ألا وهي: الحمار الوحشي، وأتنه والثور الوحشي والبقر الوحشي وقد سبق وذكرتهما، الوعل... الخ، والشاعر ربما يستعين بهذه القصص ليؤكد مايصف به المرثي بقوله:

والدهر لا يـبقى علـى حدثانـه مستشعـر حلـق الحديد مقنـع

حميت عليه الـدرع حتـى وجهه من حرها يوم الكريهـة أسفـع

تعدو به خوصـاء يفصم جريهـا حلق الرحالـة فهـي رخـو تمزع[3]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، تح: تخ: أحمد خليل الشال،مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، ط1، 2015م ص 50،51.

2- المصدر نفسه، ص 53.

3- المصدر نفسه، ص 55، 57.

إلى غاية قوله:

وكلاهما قد عاش عيشـــة ماجـد وجنـــى العلاء لـــو أن شيئا ينفع[1]

هنا الشاعر في مجال معاناته صور لنا الفارس في ساحة الحرب وهو يصارع فارسا آخر فوصف تلك اللحظات وشبه نهاية الفارسين (الموت) بنهاية الحمار الوحشي والثور الوحشي (الموت).

أما في القصة الأولى فقد سرد لنا قصة الحمار الوحشي وأتنه حيث كانوا في سعادة مؤقتة فلم يلبث الصياد إلا وأقبل مع كلابه التي حولت تلك السعادة إلى موت فصور لنا صور الصراع بين الأتن والكلاب، وهو يستخدم الحيوان رمزا ليعبر به عما آل إليه أبناؤه وصراعهم مع الموت.

أما بالنسبة للقصة الثانية: فهو يصور لنا صراع الثور الوحشي مع الكلاب وهذا من أجل البقاء، وأبو ذؤيب رمز بالحيوان وموته على يد الصائد ليعبر عن فجيعته بأبنائه وليؤكد بأن القدر ينتصر دوما فالموت حتمية مطلقة.

لقد اقترنت حياة الشاعر بهديل الحمام الحزين، فباتت اللغة المشتركة التي يعبر بها شاعرنا عن ألمه وحزنه على فراق ابن عمه نشيبة، فصور الحمامة وهي تتغنى بهديلها الحزين تشبه حالة أبي ذؤيب، ونحن على دراية بأن الحمام دائم الحزن فهو حزين طول حياته ونجد الشاعر يقول:

تدعو الحمامـــة شجوهـــا فتهيجني ويروح عـــازب شوقي المتـــأوب[2]

لقد استخدم الشاعر قصص الحيوان وصورته لأنه يرى فيها تشابها في قصة أبنائه فكل من هذه الحيوانات لها نهاية واحدة وهي الموت، فهو يتغنى بهذه القصص وقد تشابهت

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 57.

2- المصدر نفسه، ص 113.

قصص الحيوان في الرثاء في كثير من العبارات وهي: "والدهر لا يبقى على حدثانه، تالله يبقى على الأيام مبتقل... الخ".

2- الحيوان في النسيب (الغزل):

يعد الغزل من أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعمقها في القلب وأقربها إلى النفس والنسيب يعني التغزل بالنساء، وذكر محاسنها وصفاتها.

لقد أثرت المرأة في وجدان الشاعر وعقله ومشاعره وعواطفه فنجده يتناولها في شعره فيذكر صفاتها ومحاسنها ويتغزل بها، فنراه يستهل قصائده على ذكرها، كما نراه يقف على أطلالها يبكيها ويتذكرها، وقد أثر شجو الحمام في الشاعر فكلما سمع صوته هيجه وبعث عنده لوعة الحب وألم الفراق والشوق يقول:

تدعو الحمامة شجوها فتهيجني ويروح عازب شوقي المتأوب

ورأى البلاد إذا سكنت بغيرها جدبا وإن كانت تطل وتخصب[1]

كما نجد أن الشاعر في غزله بالمرأة يورد صورة الإبل والظباء والنحل، فنرى أن الإبل ساعدت الشاعر في إظهار محاسنه أمام حبيبته عندما يتغنى بكرمه وشجاعته، فهو الذي يذبح الإبل الضخمة ليطعم الجياع والمساكين والضيوف، وحتى أن لا أحد يسبقه إلى ذلك فنجده يقول في هذا الصدد:

ومفرهة عنس قدرت لرجلها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

لحي جياع أو لضيف محول أبادر حمدا أن يلج به قبلي[2]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 113.

2- المصدر نفسه، ص 70.

فالشاعر هنا بصدد رفع شأنه أمام حبيبته أسماء والتي ذكرها في مطلع القصيدة إذ قال:

ألا زعمت أسمـــاء أن لا أحبهـــا فقلت بلـى لولا ينازعنـــي شغلـــي[1]

بحيث تكمن شجاعته وكرمه في أنه ينحر كرائم الإبل وسمانها للفقراء والمحتاجين والضيوف ، فالإبل تحضر هنا في معرض الكرم.

أما بالنسبة للظباء، فالظبية تحضر في معرض تبيان جمال الحبيبة فهو يشبهها بالظبية في طول عنقها وسعة عيونها وبياض لونها وإشراقه، وفي سواد الفم وامتلاء الجسم حيث جعل الحبيبة في جمالها وبهائها كالظبية.

فنراه يتغزل بحبيبته أسماء مشبها إياها بالظبية حيث ذكر الكثير من صفات جسدها حيث يقول:

لعمـــرك ما عيســاء تنسأ شادنـا يعن لها بالـــجزع مـن نخـب النجـل

إذا هـي قامـــت تقشعـر شواتهـا ويشرق بين الليت منها إلى الصقل

ترى حمشا في صدرها ثم إنها إذا أدبـــرت ولـــت بمكتنـــــز عبـــل[2]

نلحظ من خلال هذه الأبيات أن أبا ذؤيب يشبه حبيبته بالظبية البيضاء، كما أنه وصف لنا مفاتن جسدها وصفاتها ونجده أيضا في وصفه لثغرها الجميل وجسدها وقامتها الرائعة يقول:

فمـــا أم خشـف بالعلايـــة فارد تنوش البرير حيث نال اهتصارهـــا

موشحة بالطرتيـــن دنـــا لهـــا جنى أيكة يضفو عليها قصـــارهـــا

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 69.

2- المصدر نفسه، ص 69.

بها أبليت شهري ربيع كليهما فقد مر فيها نسؤها واقترارها

وسود ماء المرد فاها فلونه كلون النؤور فهي أدماء سارها

بأحسن منها حين قامت فأعرضت تواري الدموع حين جدا انحدارها[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات بأن أبو ذؤيب يخبرنا بأن هذه الظبية كثيرة التلفت وتلفتها يبرز جمال عيونها وطول عنقها الذي يظهر طوله وحسنه وهي تمده لتلتقط ثمر الأراك، كما أنها سمينة مكتنزة، بيضاء اللون، مشرق جسمها، فمها أسود؛ وهذا راجع لكثرة أكلها ثمر الأراك لكن يرى أبو ذؤيب أنه بالرغم من جمال الظبية إلا أن محبوبته أكثر جمالا وإشراقا من تلك الظبية.

أما بالنسبة للنحل فقد جاء في سياق تشبيه العسل الممزوج بالماء البارد الصافي بفم الحبيبة عند السحر، وفي روعة حديثها وحلاوة منطقها فكأنه العسل فنرى أن أبو ذؤيب يشبه حلاوة حديث حبيبته بالعسل المخلوط بلبن الأبكار المنتج حديثا فنجده يقول:

وأن حديثا منك لو تبدلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

رآها الفؤاد فاستضل ضلاله نيفا من البيض الحسان العطابل[2]

إن المتتبع لشعر أبي ذؤيب الهذلي يلحظ أنه يعشق في المرأة جيدها ونظرتها ورائحتها وطعم مقبلها الذي يقرنه بالعسل الممزوج بالخمرة المعتقة[3] فنجده يقول:

كأن على فيها عقارا مدامة سلافة راح عتقتها تجارها[4]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 64، 65.

2- المصدر نفسه، ص 86.

3- نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الرياض، 1980م، ص 85.

4- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 65.

ونراه في قصيدة أخرى يصف طعم ثغر الحبيبة ويشبهه بالعسل الممزوج بالخمرة فيقول:

فمـــا إن هما في صحفـــة بارقيـــــة جديد أرقت بالقـــدوم وبالصقـــــل

بأطيب من فيهـا إذا جئـت طارقـــا ولم يتبين ساطع الأفـــق المجـلى

إذا الهدف المعزاب صـــوب رأســـه وأمكنه صفو من الثلـــة الخطـــل[1]

ونجده أيضا في قصيدة أخرى يصف العسل الممزوج بالماء طعمه بطعم ثغر محبوبته فيقول:

وما ضرب بيضـــاء يـــأوي مليكهـا إلى طنـــف أعـــيا بـــراق ونـــــازل

تهال العقاب أن تمـــــر بريـــــده وترمي دروء دونـــه بالأجـــــادل

تنمي بها اليعسوب حتـى أقرهـــا إلى مألف رحب المباءة عاســـــل

فلو كان حـــبل من ثمانين قامـــة وتسعين باعـا نالهـــا بالأنامـــل

تدلى عليها بالجبـــال موثقـــــا شديد الوصـــاة نابـــل وابن نابـــل

إذا لسعته النحل لم يرج لسعهـا وحالفها فـــي بيت نـــوب عوامـــل

فحط عليهـــا والضـــلـوع كأنهـــا من الخوف أمثال السهام النواصل

فشرجـــها مـــن نطفـــة رجبيـــة سلاسلة من ماء لصـــب سلاســـل

بماء شنان زعزعت متنـه الصبـــا وجادت عليه ديمة بـــعد وابـــــــل

بأطيب من فيها إذا جئت طارقـــا وأشهى إذا نامت كـــلاب الأسافـــل[2]

من الأبيات السابقة نلاحظ أن أبا ذؤيب الهذلي يؤكد على موقع بيوت النحل والتي تتخذ من الجبال العالية بيوتا لها، فتهاب الطيور الضارية الاقتراب والدنو منها وبهذا يؤكد

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 71.

2- المصدر نفسه، ص 87، 88.

أنها بعيدة لا يمكن لأحد الوصول إليها، كما ذكر هول العقاب الذي لم يستطع الوصول إليه كما قلنا بسبب علوها ثم ينتقل لوصف المشتار وتدليه، ثم يرسم مكان النحل في الجبال قاصا قصة المشتار ليصل في النهاية إلى وصف العسل الممزوج بالماء النقي فيشبهه بطعم ثغر محبوبته، وقد ذكر العسل بدلا من النحل، فالعسل قرينة دالة على النحل وهو يحضر في معرض تبيان الحبيبة وجمالها، فهو ينطلق من المشقة ليصل إلى الأجود أي ليصل إلى أن العسل يشبه طعم ثغر محبوبته.

كما أنه أيضا شبه حبه لمحبوبته بالظبي حيث قال:

وأزعـــم أنـــى وأم الرهـــــي ن كالظبي سيـق لحبـل الشعـــر

فبينا يسلم رجع اليـــــــدي ن باء بكفـــة حبـــل ممـــــر

فراغ وقد نشبت في الزمـــا ع واستحكمت مثل عقد الوتـــر[1]

من خلال الأبيات السابقة يمكن القول أن أبا ذؤيب الهذلي شبه حبه لمحبوبته بالظبي الذي سيق إلى حبل الصائد، كما ذكر محاولة هذا الظبي الفرار لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بسبب أنه علق في هذا الحبل.

3- الحيوان في الفخر:

نعلم أن الفخر هو ضرب من الحماسة، وتغن بخصالها الحميدة وصفاتها الحسنة التي كان العربي يقدسها كإكرام الضيف ونجدة المستغيث وحماية الجار وهذا ما نلحظه في شعر أبي ذؤيب الهذلي حينما يشيد بكرمه وبكرم قبيلته، كما يفتخر بنحر الناقة حيث يقول:

فإنك لـو ساءلـت عنـــا فتخبـــري إذا البزل راحت لا تـــدر عشارهـــا

لأنبئت أنا نجتدي الحـــمد إنمـــا تكلفه مـــن النفـــوس خيارهـــــا

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 76، 77.

لنا صرم ينحرن في كـــل شتــوة إذا ما سماء النــاس قـــــل قطارهـا[1]

لقد كانت الإبل محل اهتمام فهي تستخدم للترحال والنحر (الطعام، الكرم) كما أنها من أعز ما يملكه العربي، فالعربي يعد ذبح الناقة للضيوف من غاية الكرم والجود، فهو يعد لحمها من أطيب اللحوم وأكرمها.

ونرى أبو ذؤيب من خلال هذه الأبيات يفخر بنفسه لأنه ينحر نوقه للضيوف أو المحتاجين فهو يفخر بنفسه وبقبيلته لأنهم كرماء، وهذا الكرم يبرز وقت الشتاء حين يشح الرزق وحين تكون الماشية عشار كما تقل ألبانها هنا يتوجه الناس إلى قبيلته الكريمة التي تنحر الإبل العظيمة وتقدمها للجياع والضيوف، وهذا على عادة الشعراء العرب.ويقول مفتخرا بسرعة استجابته للضيوف:

ومفرهـــة عنـــس قـــــدرت لرجلهـــا فخرت كما تتابع الريـــح بالقفـــل

لحي جيـــــاع أو لضيـــف محـــــول أبادر حمدا أن يلـــج به قبلـــــي

رويت ولم يغـــــرم ندمـــي وحاولـــت بني عمها أسماء أن يفعلوا فعلـــي[2]

فسرعة استجابة الشاعر لإطعام الجياع جلية في أبياته فهو لم يتوان عن نحر ناقته بل إن سرعة استجابته تكاد تسابق الريح، كما أن الشاعر يجلس مع الضيف ويأكل ويشرب معه، وهذه العادات لم تدركها قبيلة حبيبته أسماء وهو يفخر بهذا.

4- الحيوان في المدح:

يعد المدح من أهم الأغراض الشعرية التي قال فيه الكثير من الشعراء والمدح وهو ذكر محاسن المرء وضائعه ويشيد بفضائله وخصاله والشاعر إذا مدح يجعل في المقام الأول الكرم والشجاعة والمروءة ونرى الشاعر أبو ذؤيب يمدح ابن الزبير ويشبهه بالسيد

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 65، 66.

2- المصدر نفسه، ص 70.

(الذئب) في قوته وصلابته، فابن الزبير كما يصوره أبو ذؤيب كان ينهض للحرب مسرعا كالذئب فيقول:

فصاحب صدق كسيد الضرا ء ينهض في الغزو نهضا نجيحا

وشيك الفضول بعيد القفو ل إلا مشاحا به أو مشيحا[1]

ونراه في قصيدة أخرى يمدح ابن عمه، فيصفه بالشجاعة والإقدام، وحسن البلاء حين النزال وشدة الضرب والطعن في ساحة الوغى إذ يقول:

ضروب لهامات الرجال بسيفه إذا أعجمت وسط الشؤون شفارها

بضرب يفض البيض شدة وقعه وطعن كركض الخيل تفلى مهارها[2]

الشاعر هنا يربط لنا شدة طعن الأعداء وقتلهم بشدة الخيل عندما تغير على صغارها وتدفع الأذى عنهم، وهذه الصورة أي صورة الخيل وهي تحمي أولادها تؤكد طبيعة علاقة الأمومة.

5- الحيوان في الحنين:

إن البعد عن الأحبة والأهل والوطن من أكثر الأسباب التي تدفع الشاعر إلى أن يبوح بحنينه وشوقه فيعبر لهم عن هذا الشعور عبر شعره الذي يعد متنفسا، فهو يعبر به عن مشاعره الصادقة تجاه من يحب واتخذ شاعرنا الإبل مثلا للصبر والاحتمال على ألم الفراق وتقلبات الحياة فنحن نعلم أن الإبل هي كثيرة التحمل فهي لها قدرة على احتمال الرحيل وعلى احتمال الحر والبرد يقول أبو ذؤيب:

كعوذ المعطف أحزى لها بمصدرة الماء رأم رذي

1- أبو ذؤيب الهذلي : الديوان، ص 111.

2- المصدر نفسه، ص 67.

فهن عكوف كنوح الكـــــــري م قـــــد شف أكبادهـــــن الهـــوي[1]

فالشاعر يشبه قوة صبره واحتماله بالإبل، فهي الأخرى لها قدرة على الاحتمال والمقاومة.

6- الحيوان في الحكمة:

إن الهدف من الحكمة هو تقديم النصح والإرشاد والوعظ وهي تحظ على التسامح وتنهى عن الجبن والخيانة وتحذر منها وقد زخر الشعر الجاهلي بشعر الحكمة وهذا لأجل التخفيف من الأهوال والمصائب وأخذ العبرة والعظة والملاحظ لشعر أبي ذؤيب يلحظ أن شعره فيه بعض من الحكمة يقول:

ولا تتبـــع الأفعى يديك تنوشهـــا ودعها إذا ما غيبتها سفاتهـــا

وأطفئ ولا توقد ولا تك محضـئـــا لنار العداوة أن تطير شكاتهـــا[2]

الشاعر هنا يجيب خالدا يريد الصلح بينه وبين معقل بن خويلد فيجيب الشاعر خالد بن زهير معقل بن خويلد يقول:

ولا تبعث الأفعى تداور رأسهـــا ودعها إذا ما غيبتها سفاتهـــا[3]

من خلال قول كل منهما (خالد بن زهير وأبا ذؤيب)يمكن القول أن كلا منهما استخدما صورة الحيوان (الأفعى) والتي حملت بين طياتها الحكمة والنصيحة حيث أكمل أبو ذؤيب قوله الذي يكشف لنا عن النصيحة يقول:

فإنك إن تفعـل فإنك سالـــم وإن تفعل الأخرى تصـبك أذاتهـا[4]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 73.

2- المصدر نفسه، ص 120.

3- المصدر نفسه، ص 119.

4- المصدر نفسه، ص120.

كما أن الموت كان له وقع كبير في نفسية الشاعر، فحرك مكامنها، فلجأإلى صورة الحيوان يتأسى بها، كما وجد فيها عبرة وعظة، وقد شكل لنا صورا أظهرت حكمة وهي تحكي لنا ثنائية الموت والحياة، كما نجد فيها نوعا من التعزية حيث يقول:

والدهر لا يبقى على حدثانـــــه جون السراة له جدائد أربـــــع[1]

يسترسل الشاعر في تتبع مسار الحمار الوحشي الذي ذهب مع أتنه إلى مكان خصب كثيرا العشب والماء فوصفها وهي تلعب وتمرح وتأكل وتشرب ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا فسرعان ما تحولت إلى فاجعة، إذ إن الصائد ظهر مع كلابه وفجأة صارت السعادة معركة آلت في نهايتها إلى المصير المحتوم وهو الموت، وبهذا يتعزى الشاعر ولا يكتفي بذلك بل يكمل وصفه إذ يقول:

والدهر لا يبقـــي علـى حدثانـــــه شبـــب أفزتـه الكـــلاب مـــــروع[2]

هنا أورد الشاعر قصة حيوان آخر وهو الثور الوحشي وصراعه مع الكلاب حيث استرسل في وصف الصراع الذي نشب بين هذه الكلاب والثور ليصل في نهاية المطاف هو الآخر إلى المصير المحتوم ألا وهو الموت، فالموت نهاية حتمية وقدر محتوم على الجميع يقول الله تعالى: **(أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ...)** سورة النساء الآية 77.

والشاعر يقر بها فهو يقر بأنها حتمية مطلقة كما أنها حتمية مطلقة كما أنها حقيقة واقعية والشاعر يصرح بها وهذا دليل على أن: "شعراء هذيل يصرحون أن الموت حق فالفناء لا حق بالإنسان والحيوان لا حق بالمرء ولو اعتلى الشمس ومصيب الحيوان ولو كان قويا

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 50.

2- المصدر نفسه، ص 53

كثور الوحشي والوعل والصدع الذي يعتصم في القلال والعقاب الذي تتخذ وكرها في قمم الجبال"[1] .

أي أن الموت حتمية مطلقة وقدر على الجميع سواء حيوانا أو إنسانا فيقول في هذا الصدد:

سبقوا هوي واعنقـــــــوا لهواهـــم فتخرموا ولكـــل جنب مصـــــرع[2]

يعرض الشاعر صورا مختلفة للموت تتعاضد جميعا في معرض التعزي لإقرار النفس وتسكينها عند معنى حتمية الموت.

7- الحيوان في المثل الشعري:

لقد أخذ الحيوان موضوعا مهما في المثل ويعد شاعرنا ممن استخدموا المثل في شعره وبسبب المصائب التي استمرت عنده وذلك بسبب فقده لأبنائه، واشتداد هذه المصائب واستمرارها جعلته يشبهها بالإبل التي تطيل مضغ العظام البالية وقد قيل: "كنت للمصيبة كالعظم ترتمه الإبل"[3] يقول:

وكنت كعظم العجمـــــات اكتنفنـــه بأطرافها حتـــى استدق نحولهـــا[4]

وأيضا كلما كان يحل الحزن والألم به يتذكر أحبته، فكان يجد في صوت الحمام الحزين تعزية، فصوتها يهيج القلوب ويذكر بالأحبة الذين طال فراقهم والعرب قالت: "أشجى من الحمامة"[5] يقول أبو ذؤيب:

1- ينظر، نصرت عبد الرحمان: الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، د ط 1985، عمان، ص 490.

2- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 49.

3- ينظر، أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري : شرح أشعار الهذليين، تح عبد الستار أحمد فراج وراجعه محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة القاهرة، د ط، د ت، ج1، ص175.

4- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص100.

5- الميداني، مجمع الأمثال: تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، ط2، 1987م، ج1، ص 154.

تدعو الحمامـــة شجوهـــا فتهيجنـــــي ويـــــروح عازب شوقي المتـــــأوب[1]

وعندما يحل الموت نعرف أنه لا فرق بين الغني والفقير لا فرق بين الكبير والصغير والسيد والعبد الحاكم والمحكوم، فكل نفس ذائقة الموت، يقول الله تعالى: **(كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ)** سورة آل عمران، الآية 185. فقالت العرب: "لكل جنب مصرع"[2] يقول[3]:

سبقـــوا هوي وأعنقوا لهواهـــــم فتخرموا ولكل جنب مصـــــــرع

أي أنه كل نفس ذائقة الموت، فالموت لا يميز أو يختار فمن يحل وقت موته يموت فلا فرق بين الكبير والصغير، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، كلنا سواسية، وكلنا نموت .

ويتضح من خلال ما سبق أن شعر أبا ذؤيب الهذلي قد برز في كل من النسيب الفخر المدح، الحنين، المثل الشعري إضافة إلى الحكمة التي يتخللها الوعظ، الإرشاد والنصح لكن أغلب ما برز فيه شاعرنا القيد الدراسة هو فن الرثاء إذ أن أغلب شعره مراث كما برع أيضا في وصف الصيد والطرد.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 113.

2- مجمع الأمثال: الميداني، ج 1، ص 239.

3- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 49.

الفصل الثاني:

صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي

الفصل الثاني: صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي

1- الحيوانات الأليفة.

2- الحيوانات المتوحشة.

3- الحيوانات الضارية.

4- الطيور.

5- الزواحف وغيرها.

6- النحل.

لقد تتبع الشاعر أبو ذؤيب الهذلي الحيوان فوصفه من حيث قوته ومأكله ومشربه ومن حيث حركته وعلاقته مع غيره من الحيوانات الأخرى، فوصف لنا الإبل وأبدع في ذلك ووصف الخيل (الفرس)، ووصف الحمار الوحشي وأتنه، ووصف الثور الوحشي والبقر الوحشي كما تحدث عن الحمام والضفادع وهذا في صدد تأزم حزنه، والنحل ووصف أيضا الظباء وشبهها بمحبوبته، والأسد والحية والعقاب....

وسأتناول في هذا الفصل الحيوان وقسمته إلى أقسام هي: الحيوانات الأليفة تألف الحياة مع الناس، الحيوانات المتوحشة لا تألف الحياة مع الناس وغير مفترسة، الحيوانات الضارية وهي مفترسة لا تألف الحياة مع الناس والطيور والنحل بالإضافة إلى الزواحف وغيرها وعلى هذا الأساس قسمت صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي وهي كالآتي:

1- الحيوانات الأليفة:

1-1- الناقة:

تناول أبو ذؤيب الهذلي الناقة في شعره ليثبت كرم قومه وأنهم يبادرون لإطعام الجياع والمحتاجين أثناء انقطاع المطر حيث نجده يقول:

وَمُفرهَة عَنس قَـــدرتُ لرجلهـــا فخرّت كما تتابع الرَّيح بالقفـــل

لحي جياع أو لضيـــف محـــول أبادر حمدا أن يلـــج به قبلـــي[1]

ونجده في صورة أخرى يشبع الأصوات المنبعثة من اللحم في القدر بصوت الظؤار* فالصوت المنبعث من تزاحمهن حول الولد كصوت اللحوم في ذلك القدر وهي تغلي[2] حيث يقول:

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 70.

* الظؤار: ثلاث نوق يعطفن على ولد واحد، وكل واحدة منهن تظنه ولدها.

2- ينظر: نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشهره، ص 77.

إذا استعجلت بعد الخبــو ترازمـــت كهزم الظؤار جرعنها حوارهـــا [1]

كما نجد الشاعر في قصيدة أخرى يتحدث عن مبارك الإبل إذ يقول:

عفا بعد عهد الحي منهم وقد يــرى به دعس آثار ومبـــرك جامـــل[2]

ونجده مرة أخرى يشبه الإبل بالنخل فيقول:

يا هل أريك حمول الحـــي غاديـــة كالنخل زينها ينبـــع وإفضـــاح

هبطن بطن رهاط واعتصبـن كمـــا يسقي الجذوع خلال الدور نضـاح[3]

وصف الشاعر الإبل في شعره وصفا دقيقا فوصف لنا ذلك العرق الذي يتصبب منها أثناء سيرها فشبهها بالكساء الأسود[4] حيث يقول:

ثم شربنا بنيــط والجمـــال كـــأ ن الرشـح منهــن بالأباط أمســاج[5]

وقد صور لنا صورة الإبل الجرباء ومن أروع وأجمل ما قال فيها ما قال:

حتى إذا فارق الأغماد حشوتهـــا وصرح المـوت إن الموت تصريــح

وصرح الموت عن غلــب كأنهـــم جرب يدافعها الســاقي منازيـــح

ألفيته لا يفـل القـــرن شوكتـــه ولا يخالطه في الناس تسميـح[6]

ومن هنا المرض (الجرب) صور لنا الشاعر صورة فنية جميلة تدل على البطولة والشجاعة في ميدان المعركة وهو معادل نوعي للموت.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 66.
2- المصدر نفسه، ص 86.
3- المصدر نفسه، ص 96.
4- ينظر: نورة الشملان: ص 76.
5- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، 96.
6- المصدر نفسه، ص 80.

ونراه في قصيدة أخرى يشبه صوت الرعد بحنين الإبل إذ يقول:

أمنك البرق أومض ثـــم هاجـــا فبـــت إخالـــه دهمـــا خلاجـــا

تكلل في الغماد فـــأرض ليلـــى ثلاث مـــا أبين لـــه انفراجـــا

فما أضحى انقلاع الماء حتـــى كأن علـــى نواحـــي الأرض ساجا[1]

ونجده في قصيدة أخرى يشبه ناقته بالصخرة في الضخامة والصلابة وقوة البأس والقدرة على الاحتمال فهي شديدة صلبة وسريعة إذ يقول:

فما فضلـــة من أذرعات هوت بهـــا مذكـــرة عنس كهاديـــة الضحـــل

سلافـــــة راح ضمنتهـــا إداوة مقيـــرة ردف لمؤخـــرة الرحـــل

تـــزودها مـــن أهل بصـــرى وغزة على جسرة مرفوعة الذيل والكفـــل

فوافى بها عسفان ثم أتـــى بهـــا مجنة تصفو في القلال ولا تغلـــي

وراح بها مـــن ذي المجاز عشيـــة يبـــادر أولى السابقات إلى الحبل

فجئن وجـــاءت بينهـــن وإنـــه ليمسح ذفـــراها تزعـــم كالفحـــل[2]

اتخذ الشاعر من هذه الصورة نموذجا ليعبر لنا عن حالته بعد السفر، وما حل به من إرهاق وتعب من السفر.

يمكنني القول في الأخير إن أبا ذؤيب الهذلي لم يهتم كثيرا بالحديث عن الإبل بل كان يهتم بتشبيه ما يصادفه في الصحراء أو الطبيعة بصفة عامة بالإبل.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 101.

2- المصدر نفسه، ص 70،71.

1-2- الخيل:

لقد جاء في ديوان أبي ذؤيب الهذلي لتناول صورة الخيل قليل حيث يقول الأصمعي: "الهذليين لم تكن لهم خيل" [1] وهذا لا يعني أنها كانت غائبة بل كانت قليلة وهذا راجع إلى صعوبة وقساوة الطبيعة.

لقد وصف أبو ذؤيب الفرس، فوصفها سريعة العدو، قوية البنية، كما أنها أيضا لا تساق بالسياط حيث قال:

تعدو به خوصاء يفصم جريهـــا حلق الرحالة فهي رخو تمـــزع

قصر الصبوح لها فشرج لحمهـــا بالني فهي تثوخفيها الإصبـــع

تأبى بدرتها إذا ما استكرهـــت إلا الحميـــم فـإنـه يتبضـــع

متفلق أنساؤهـا عـــن قانـــئ كالقرط صـاو غبـره لا يرضـع[2]

كما استخدموا الخيل أيضا في القتال فالفروسية عندهم تأتي في سياق النزال والمبارزة والمواجهة وهنا يقول في وصف فارسين نزلا من على الفرس:

فتنـــازلا وتواقفـــت خيلاهمـــا وكلاهما بطـــل اللقاء مخـــدع[3]

لقد أساء أبو ذؤيب في القول الأول في وصفه للفرس حيث وصفها بما توصف به الناقة، والفرس هنا جاءت في معرض الغزو والإغارة.

1- السكري: شرح أشعار الهذليين، ص 35.

2- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان،ص 55.

3- المصدر نفسه، ص 56.

وقال في موضع آخر:

بضرب يفض البيض شدة وقعـــــه وطعن كركض الخيل تفلى مهارهــا[1]

وهو هنا يشبه لنا شدة طعنه للأعداء وقتلهم بشدة الخيل عندما تدافع على صغارها وتدفع عنهم الأذى، فابن عم الشاعر عندما يدافع عن أرضه يشبه الخيل عند دفاعها عن أولادها.

كما يقول أيضا في وصف الحصان:

يعدو به نهش المشـــاش كأنـــــه صـدع سليم رجعه لا يظلـــــع[2]

والشاعر هنا يصف الحصان، ففي هذه المبارزة برز كل من الفرس والحصان لأن أحد الفارسين يمتطي فرسا والأخر يمتطي حصانا.

2- الحيوانات المتوحشة:

ومن الحيوانات المتوحشة التي تناولها أبو ذؤيب الهذلي في ديوانه ما يلي:

2-1- الحمار الوحشي:

لقد وردت صورة الحمار الوحشي وأتنه في غرض الرثاء وهذا لأخذ العبرة والعظة فهو صورة شبيهة لصورة الإنسان وهما يلتقيان في حتمية الموت فكل منهما قد مات وقد عد شاعرنا من أكثرمن أجاد في تصوير هذا الحيوان بحيث سجل كل من حركاته وسلوكياته وهذا يبرز في عينيته التي رثى بها أبناءه الخمسة والتي وجد فيها عزاءا لنفسه، يقول:

والدهر لا يبقى علـــى حدثانـــــه جون السراة له جدائـــد أربـــع

صخب الشوارب لا يـــزال كأنـــــه عبـــد لآل ربيعـــــة مسبـــــع

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان ، ص 67.

2- المصدر نفسه، ص 56.

أكل الجميم وطاوعته سمحـــج مثل القناة وأزعلته الأمـــرع

بقـــرار قيعـــان سقاهـــا وابـــل واه فأثجـــم برهـــة لا يقلـــع

فلبثن حينـا يعتلـــجن بروضـــه فيجد حينا في العلاج ويشمـع[1]

يتناول الشاعر هنا صراع الحيوان مع الموت ليصور لنا صراع أبنائه أيضا مع الموت ونلاحظ أن الموت قد انتصر في كلا الحالتين، معزيا نفسه فالدنيا لا تبقى على حالها والموت حتمية مطلقة، لقد صور لنا الشاعر صورة الحمار الوحشي وصراعه تصويرا رائعا وألحق به الأتن التي كان يقودها إلى موطن الخير حيث الماء والكلأ، لكن بالرغم من وجود كل ما تتمناه النفس إلا أن الموت كان يترصده مع أتنه[2] يقول:

حتى إذا جزرت مياه رزونـــه وبأي حيـن مـــلاوة تتقطـــع

ذكر الورود بها وشاقـــى أمره شؤما وأقبـــل حينـــه يتنبـــع

فافتنهن من السواء ومـــــاؤه بثر وعانـده طريـــق مهيـــع

فكأنما بالجزع بيـن نبايـــع وأولات ذي العرجاء نهب مجمع

وكأنهـن ربابـــة وكأنـــه يسر يفيض على القداح ويصدع

وكأنما هو مدوس متقلـــب بالكف إلا أنـــه هـــو أضلـــع[3]

فما إن ينقص الماء ويذهب الربيع، حتى يغير الحمار الوحشي مكانه، حيث ينطلق بأتنه إلى مورد آخر به الماء أكثر وهو لم يعلم أنه ذاهب ليلقى حتفه ونهايته، فيسير القطيع جنبا إلى جنب فشبهها عند انطلاقها كأنها أقداح جمعها صاحب قداح، أما بالنسبة إلى

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 50 ،51.

2- ينظر: نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، ص 57.

3- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 51، 52.

الحمار فهو قوي صلب أشبه بالحجر، وتستمر رحلته إلى المورد الجديد عبر الأودية حتى وصلن المورد الجديد مع آخر الليل يقول أبو ذؤيب:

فشرعن في حجرات عذب بـــارد حصب البطاح تغيب فيه الأكــرع

فشربن ثم سمعن حسا دونـــه شرف الحجاب وريب قرع يقـــرع

ونميمة من قانـــــص متلبـــب في كفه جشء أجـــش وأقطـــع

فنكرنه فنفرن وامترست بـــــه عوجاء هادية وهـــــاد جرشـــع

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهما فخر وريشـــــه متصمـــع[1]

يصف لنا الشاعر حالة وصول القطيع إلى مورد فيه الكلأ والماء فبمجرد وصولهم مددن رقابهن لشرب الماء، وفجأة أحس الحمار وأتنه بصوت غريب يقترب، فلتفت القطيع ليجدوا صائدا يتربص بهن، ثم يصور لنا الشاعر صورة الأتن وقد فزعن وخفن ثم هربن ليحتمين بفحلها (الحمار الوحشي) فرمى الصائد بسهم ليصيب إحدى الأتن فخرت صريعة على الأرض، ثم صور لنا الأتن وهي ساقطة على الأرض والدم يغطيها فنراه يقول:

فبدا له أقـــراب هـــــذا رائغـــــا عجلا فعيث فـــي الكنانـــــة يرجـــع

فرمى فألحق صاعديا مطحـــــرا بالكشح فاشتملت عليـــه الأضلـــع

فأبدهـــن حتوفهـــــن فهـــــارب بذمائـــــه أو بـــــارك متجعجـــــع

يعثرن في علق النجيع كأنمـــــا كسيت برود بنـــي تزيـــــد الأذرع[2]

وهنا يصور الشاعر انتصار الصياد وكلابه على الحمار الوحشي وأتنه، حيث خرت على الأرض ساقطة من جراء السهام، وهذا دليل على حتمية الموت.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 52.

2- المصدر نفسه، ص 52، 53.

2-2- الثور الوحشي وبقرته:

أمام مصائب الحياة التي مر بها الشاعر بات الثور الوحشي رمزا لهذه المصائب وقد اتخذ من هذا الحيوان أنموذجا للقوة والتحمل والكرامة، يقول أبو ذؤيب:

والدهر لا يبقى على حدثانه شبب أفزته الكلاب مروع

شعف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

ويعود بالأرطى إذا ما شفه قطر وراحته بليل زعزع

يرمي بعينيه الغيوب وطرفه مغض يصدق طرفه ما يسمع

فغدا يشرق متنه فبدا له أولى سوابقها قريبا توزع

فانصاع من فزع وسد فروجه غبر ضوار وافيان وأجدع[1]

يتحدث الشاعر عن تقلب الدهر فبينما كان الثور الوحشي في مأمن، فجأة تحول هذا الأمان إلى خطر بسبب الكلاب الضارية، ثم احتدمت المعركة فيما بينهما وبدأت حيث يقول:

ينهشنه ويذوذهن ويحتمي عبل الشوى بالطرتين مولع

حتى إذا ارتدت وأقصد عصبة منها وقام شريدها يتضوع

فكأن سفودين لمايقترا عجلا له بشواء شرب ينزع[2]

يصور لنا الشاعر المعركة التي دارت بين الكلاب والثور الوحشي ويصف لنا كيف كان النزال والصراع بينهما ليصل إلى وصف المشهد الأخير من المعركة حيث تدخل الصائد ليدافع عن كلابه ويبعد عنها الأذى ولينتقم من الثور فيكمل الصورة قائلا:

فدنا له رب الكلاب بكفه بيض رهاب ريشهن مقزع

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 53.

2- المصدر نفسه، ص 54.

فرمى لينقد فـــرها فهوى لـــه سهـــم فأنفـــذ طرتيـــه المنزع

فكبا كما يكبو فنيـــق تـــارز بالخـــبت إلا أنـــــه هو أبـــرع[1]

يصف لنا الشاعر تدخل الصائد لينقد كلابه، فيطلق سهامه لتخترق الثور ليسقط هالكا على الأرض، وجاءت نهاية الثور الوحشي في القصيدة التي مطلعها:"تالله يبقى على الأيام مبتقل" نهاية مختلفة عن النهاية التي آل إليها الثور في قصيدته العينية حيث انتصر الثور على الكلاب وخرت الكلاب هاوية على الأرض مكسوة بالدماء حيث قال:

حتى إذا أدرك الرامـــي وقد عرست عنه الكلاب فأعطاها الـــذي يعـد

غادرها وهي تكبو تحـــت كلكلـــه يكسو النحور بورد خلفه الزبـــد

حتى إذا أمكنته كـــان حينئـــذ حرا صبورا فنعم الصابـــر النجد[2]

2-3- الظبي:

لقد أحب الشعراء الظبية وافتتنوا بها لخفتها ورشاقتها وقد استخدمت في غرض التغزل وأبو ذؤيب واحد من هؤلاء الشعراء الذين افتتنوا بها، لأنه يرى فيها صورة لجمال المحبوبة فلاحظت من خلال شعره حبه لها، فهو يشبهها بحبيبته والصورة تتمثل في الظبية تحن على صغيرها وهذه الصورة تتمثل في كون محبوبة الشاعر تظهر له المودة والقدر، يقول:

فما أم خشف بالعلايـــة فـــارد تنوش البرير حيث نـــال اهتصارهـــا

موشحة بالطرتين دنا لهـــــا جنا أيكة يضفو عليهـــا قصارهـــا

بها أبلت شهري ربيع كليهمـــا فقد مار فيهـــا نسؤهـــــا واقترارهـــا

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 55.

2- المصدر نفسه، ص 61.

وسود ماء المرد فاها فلونـــه كلون النـــــؤور فهي أدماء سارهـــا[1]

يصف لنا الشاعر هذه الظبية التي تقود صغيرها والتي تأكل ثمر الأراك، كما وصف كثرت تلفتها إلى ابنها للحذر عليه كما أخبرنا بأنها تفردت عن القطيع وهذا لجمالها وروعتها كما وصفها لنا ووصف لنا اختلاف الألوان في مخط جنبها ووصفها في موضع آخر حيث يقول:

كأن ابنة السهمى يـــوم لقيتهـــا موشحـــة بالطـــــرتين هميـــج

بأسفل ذات الدبـــر أفرد خشفهـــا فقد طردت يوميـــن فهي خلـــوج[2]

يشبه الشاعر محبوبته بظبية موشحة بالبياض وعلى جنبها خطان يفصلان لون البطن عن بقية الجسم ومحبوبته في دلالها أشبه بهذه الظبية في تمايلها ورقتها.

3- الحيوانات الضارية:

ومن الحيوانات الضارية التي تناولها الشاعر في شعره نجد:

3-1- الذئب:

تناول الشعراء الذئب في معرض الحديث عن السرعة في العدو، وكيفية الظفر بالفريسة ولقد قدم لنا الشاعر أبو ذؤيب أوصافا دقيقة له، لا يمكن لأحد وصفها إلا لمن كان قريبا منه، يترصده فنجده في قصيدته يشبه لنا ابن عمه عبد الله بن الزبير بالذئب في سرعته حيث قال:

فصاحب صدق كسيـــد الضـــرا ء ينهض في الغـــزو نهضا نجيحا

وشيك الفضول بعيـــــد القفـــو ل إلا مشـــــاحـا بـه أو مشيحـــا

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 64.

2- المصدر نفسه، ص 84.

يريـع الغـزاة ومـا إن يـزال مـضطمـرا طرتـاه طليحـا

كسـف المـرادي لا ناكـلا جبانـا ولا جيدريـا قبيـحا

قد أبقى لك الغزو من جسمـه نواشـير سيد ووجها صبيحـا[1]

فابن عم الشاعر يشبه سيد الضراء (الذئب) فهو حريص وحذر وشبهه أيضا بالسيد لسرعته.

3-2- الأسد:

استخدم الشاعر صورة الأسد لتبيان وحشة الديار بعد رحيل أهلها وأحبائها فباتت هذه الديار عند أبي ذؤيب موحشة مفزعة من وراء هذه السباع الخبيثة التي تعيش فيها حيث يقول في تبيان هذه الديار الموحشة:

أصبح من أم عمرو بطن مر فـأك ناف الرجيع فذو سدر فأمـلاح

وحشا سوى أن فرادا السبـاع بهـا كأنها من تبغي الناس أطـلاح[2]

وهنا استعمل الشاعر صورة الحيوان المتوحش (الأسد) كناية عن خلاء وفزاعة هذه الديار بعد رحيل أهلها، كون الأسود لا تسكن إلى في الأماكن المعزولة والبعيدة عن أعين الناس.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 111.

2- المصدر نفسه ، ص 96.

4- الطيور:

وتنقسم الطيور إلى:

4-1- الطيور المستأنسة:

4-1-1- الحمامة:

الحمامة هي رمز لفقد الأعزاء فعلاقتها بالحزن قديمة يبعث صوتها الشجي في النفس المشاعر والأحاسيس وعدت لغتها مشتركة مع الشاعر حيث تعبر عن ألمه وحزنه حيث يقول:

تدعو الحمامة شجوهـــا فتهيجـــني ويروح عازب شوقي المتـــأوب[1]

إن الشاعر يحس بالألم والحزن كلما سمع شجو الحمام الحزين هيجه وبعث عنده لوعة الألم والفراق والشوق.

ويقول أيضا في هذا الصدد:

فوالله لا ألقـــى ابـــن عم كأنـــه نشيبـــه ما دام الحمام ينـــوح[2]

فالشاعر يتذكر ابن عمه كلما تسمع لشجو الحمام فيبكي ويحس بالحزن والألم فالحمام عنده رمز للحزن والألم.

4-1-2- الديك:

لم يكثر أبو ذؤيب الهذلي الحديث عن الديك، فذكر الميزة التي يمتاز بها، حيث ضرب المثل بعينيه في الصفاء، حيث شبه الشاعر الشراب بعينيه فقال:

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 113.

2- المصدر نفسه، ص 89.

وما إن فضلـــــة مـــــن أذرعـــــات كعين الديك أحصنها الصـــــــروح[1]

فالشاعر جمع بين صورة الصفاء بين الخمرة وعين الديك ليبين لنا أن هذه الخمرة نقية صافية.

4-2- الطيور غير المستأنسة:

4-2-1- طير الحبارى:

ومن الطيور الغير مستأنسة التي تناولها الشاعر الحبارى حيث شبه عين امرأة قتل زوجها وهي لا تدري مقتله، حيث أخذت تطلب نصيب زوجها من الغنيمة فكانت تسأل وعينها مليئة بالخوف والذعر فشبهها بعين الحبارى التي أخطأتها الصقور فأفلتت من مخالبها حيث يقول:

توقى بأطـــــراف القـــــران وطرفهـــــا كطرف الحبارى أخطأتها الأجـــادل[2]

إن الرابط بين عين المرأة وعين الحبارى هو ذلك الخوف البادي في العين، لكن يوجد اختلاف فيما بينهما وهو كون المرأة فقدت زوجها وباتت أرملة يتولى إعالتها الغريب.

4-3- الطيور الجارحة:

من خلال البيت السابق يمكن استخلاص أحد الطيور ألا وهو الصقر (الأجادل) والتي حاولت أن تنقض على الحبارى لكنها لم تستطع الإمساك بها.

كما نجده أيضا تناول طير العقاب حيث شبه سرعة شخص من هذيل حين ينقض على أعدائه بسيفه بسرعة العقاب حيث يقول:

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 99.

2- المصدر نفسه، ص 94.

فألقى غمده وهوى إليهم كما تنقض خائتة طلوب

موقفة القوادم والذنابى كأن سراتها اللبن الحليب[1]

كما وصف لنا هذا العقاب فذكر السواد المختلط بالبياض، كما ذكر ظهره الأبيض حيث شبهه بالحليب، فشبه صوت السيف وهو يطيح الرؤوس بسرعة بصوت سرعة أجنحة العقاب .

5- الزواحف وغيرها :

5-1- الحية:

جاء حديث أبو ذؤيب عن الحية في سياق الخداع وعدم الأمان حيث قال:

ولا تتبع الأفعى يديك تنوشها ودعها إذا ما غيبتها سفاتها[2]

وهو هنا بصدد الرد على خالد بن زهير في خلافه مع معقل بن خويلد حيث حذره ورمز له بالحية لعدم الأمان فهي رمز للخداع والمكر.

5-2- الضفادع:

لقد صور لنا أبو ذؤيب الهذلي صوت الضفادع وهي صورة صوتية، فشبه أصواتها بصوت القيان حيث يقول:

ضفادعه غرقى رواء كأنها قيان شروب رجعهن نشيج[3]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 75.

2- المصدر نفسه، ص 120.

3- المصدر نفسه، ص 83.

يصور لنا هول السيل كما ذكر أن هذه الضفادع أصبحت تصدر أصواتا في وقت واحد وهو صوت حزين فشبهها وكأنها مجموعة غنائية فهي أيضا تصدر أصواتا تثير في النفس الحزن.

6- النحل:

لقد نال النحل والعسل والمشتار جزءا كبيرا في شعر أبي ذؤيب فربطها بالحديث عن المرأة وبخاصة ثغرها وقد وصف لنا أبو ذؤيب النحل كما ذكر لنا مواقيت رواحها وغدوها وذكر لنا نوعا منها حيث يقول:

بأري التي تأري اليعاسيب أصبحت إلى شاهق دون السماء ذؤابها

جوارسها تأوي الشعوف دوائبا وتنصب ألهابا مصيفا كرابها

إذا نهضت فيه تصعد نفرها كقتر الغلاء مستدرا صيابها

يظل على الثمراء منها جوارس مراضيع صهب الريش زغب رقابها[1]

نلحظ أن أبا ذؤيب يحدد مواعيد ذهابها وعوذتها إلى بيوتها في أعالي الجبال، كما أنها تقتات وقت جوعها هي وصغارها من الأشجار المثمرة.

ويؤكد لنا في قصيدة أخرى عن موقع بيت النحل وهو أعلى الجبال أين لا يستطيع أحد الوصول إليها وحتى العقاب والصقور لا يستطيعان الوصول إليها حيث يقول:

وما ضرب بيضاء يأوي مليكها إلى طنف أعيا براق ونازل

تهال العقاب أن تمر بريده وترمي دروء دونه بالأجادل

تنمى بها اليعسوب حتى أقرها إلى مألف رحب المباءة عاسل[2]

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 59 ، 60.

2- المصدر نفسه، ص 87.

نلاحظ أن أبا ذؤيب يذكر المشتار والعسل والنحل في سياق الحديث عن ثغر المرأة وعن ريقها خاصة يقول:

فشرجها مـــن نطفـــــة رجبيـــة سلاسلة من ماء لصــب سلاســل

بماء شنان زعزعت متنه الصبـــا وجادت عليه ديمـــــة بعد وابـــل

بأطيب من فيها إذا جئت طارقـــا وأشهى إذا نامت كــلاب الأسافـــل[1]

فالشاعر يذكر المشتار ويشبه طعم العسل الممزوج بالماء بطعم ثغر حبيبته كما أنه يعتبر طعم ثغر المحبوبة أجمل من طعم العسل الممزوج بالماء.

من خلال ما سبق يتضح أن أبا ذؤيب الهذلي شاعر دقيق الملاحظة حيث أنه يصف لنا الطبيعة ومظاهرها من صراع الحيوانات ووصف لأماكن عيشها كما يتحدث أيضا عن قساوة الطبيعة إضافة إلا أنه يجعل نهاية الصراع الموت وقد ذكر أنواعا من الحيوانات منها: الأليف، المتوحش، الضاري، الطيور، النحل وكذلك بعض الزواحف وغيرها من الحيوانات وقد جاء الحيوان كمعادل موضوعي للحياة وقساوتها، وكرمز لعواطف الشاعر أبي ذؤيب الذي سيطرت عليه مشاعر الحزن والألم والتشاؤم من الدهر.

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 88.

الفصل الثالث:

الحيوان وعاطفة الشاعر

الفصل الثالث: الحيوان وعاطفة الشاعر

1_ غلبة الحزن.

2_ بوارق الأمل.

من خلال تناول شعر أبي ذؤيب الهذلي بالدراسة يتجلى طغيان الحزن والأسى والتشاؤم على جل قصائده وهذا راجع لأسباب عديدة نذكر منها: هجران حبيبته وخيانتها له مع أقرب الناس إليه ابن أخيه[1]، وفقدانه لابن عمه نشيبه[2]، وكذا حزنه على كلٍ من حبيب[3]، وابن عجرة ورفاقه وقد قتلوا غدرا [4]، بالإضافة إلى العاصفة الكبرى التي ألمت به جراء فقدان أبنائه الخمسة، وهذا كان السبب الأكثر في حزنه فلم يبقى له أحد حيث زهد في الدنيا، فاتخذ من البيئة معادلا موضوعيا من قصص الحيوان والطير ليعكس مأساته وحزنه وألمه، وهذا ليعزي نفسه.

1_ غلبة الحزن:

سيطرت مشاعر الحزن والألم كثيرا على الشاعر فطغت هذه المسحة على شعره، وقد أدت الحيوانات دورا مهما في عرض أفكار الشاعر وإبراز وجدانه، فأمام مصائب الحياة وجد أبو ذؤيب متنفسا لهمومه وتخفيفا لمصائبه بحديثه عن الحيوان، فكان حينا رمزا لمصائبه التي جلبت له الحزن والألم، وحينا آخر معادلا موضوعيا لها وتارة أخرى للتعزي أو مجالا للتفكر والتأمل... .

1-1- التسمع لأصوات الحيوانات:

سيطرت مشاعر الحزن والألم كثيرا على أبي ذؤيب الهذلي، وهذا بارز في شعره والذي نلحظ من خلاله محاولته للتسمع لأصوات الحيوانات التي يجد فيها متنفسا لهمومه وآلامه يقول:

1_ نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي، حياته وشعره، ص 42.
2_ المرجع نفسه، ص 47.
3_ المرجع نفسه، ص 48.
4_ المرجع نفسه، ص 48.

تدعو الحمامة شجوهـــا فتهيجنـــي ويروح عازب شوقـــــي المتـــــأوب[1]

لقد ترك موت ابن عم الشاعر نشيبة أثرا مؤلما في نفسه، فجاء صوت الحمام الحزين منسجما مع حالته، فبات الشجو اللغة المشتركة التي يعبر بها عن ألمه وحزنه، فاتخذ من الحمام رمزا لاستمرار معاناته وألمه وحزنه إزاء فقده ابن عمه، حيث أنه يائس من رجعته ومستمر في حزنه وبكائه عليه، فاستمرت رؤيته للحمام ينوح تعبيرا عن ألم الفقد والفجيعة[2] يقول:

لعمرك إني يـــــوم أنظـــر صاحبـــي على أن أراه قافـــــلا لشحيـــــح

وإن دموعـــــي إثـــــره لكثيـــــرة لو أن الدموع والزفيـــــر يريـــح

فوالله لا ألقـــى ابـــــن عـــم كأنـــه نشيبة مادام الحمـــــام ينـــــوح[3]

الشاعر مستمر في مأساته ومتألم لفجيعة فقدانه لابن عمه نشيبة، ويؤكد بالقسم استحالة لقائه بابن عمه مرة، فحال دوام حزنه كدوام الحمام يرجع صوته كما ترجع ذكر المرثي هموم الراثي وأحزانه[4]، والغريب أنه تنبه لصوت الضفادع التي هالها السيل حيث قال:

ضفادعـــــه غرقـــــى رواء كأنهـــا قيـــان شروب رجعهـــن نشيـــــج[5]

شبه أبو ذؤيب الهذلي أصوات الضفادع التي هالها السيل بمجموعة غنائية تصدر الأصوات في وقت واحد، ونحن على علم بأن صوت الضفادع ليست بحزين بقدر ما هو

1_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 113.

2_ محمد يوسف عبد العزيز غريب: اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام، دراسة موضوعية فنية، قسم اللغة العربية وآدابها، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، مي أحمد يوسف، جامعة اليرموك، 2012، ص 187.

3- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 89.

4- محمد يوسف عبد العزيز غريب: اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام، ص 187.

5- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 83.

منكر يبعث في النفس الاشمئزاز والنفور، إلا أن شاعرنا يدل على كثرة حزنه وإن كثرة صوت الضفادع وعدها أصواتا حزينة وهذا بسبب نفسيته الحزينة لهذا يرى أن هذه الأصوات فيها ألم وحزن.

1-2- الطيرة:

1_2_1_ الهامة:

الهامة طير وكانت العرب تقول: إن عظام الأموات، وقيل: أرواحهم تصير هامة فتطير، وكانوا يسمون الطائر الذي يخرج منها بالصدى[1]، والهامة طير يخرج من رأس المقتول يصرخ ويقول: اسقوني يقول أبو ذؤيب:

أحـــــاذر يوما أن تبين قرينتـــي ويسلمهـــا إخوانهـــا ونصيـــرها

وما أنفس الفتيـــان إلا قرائـــن تبين ويبقـــى هامهـــا وقبورهـــا[2]

1_2_2_ الصدى:

هو الطائر الذي يصر بالليل ويقفز ويطير ويكون في البراري وهو طائر يخرج من رأس المقتول إذا بلي ويدعى الهامة، وكانت العرب تقول: إن عظام الميت تصير هامة فتطير، وذاك الطائر الذي يخرج من الهامة هو الصدى[3].

يقول أبو ذؤيب في هذا الصدد:

فإن تمس في رمس برهـــوة ثاويـــا أنيسك أصداء القبـــور تصيـــح[4]

1- إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، مج13، العدد02، 1999، ص 643.

2- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 83.

3_ إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، ص 643.

4_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 115.

يمكن القول أن الهامة والصدى واحد، غير أن الصدى ذكر والهامة أنثى، والهامة تخرج من رأس القتيل أما الصدى فهو الطائر الذي يخرج من هذه الهامة، وهما يظلان يصيحان حتى يقضي الثأر، والهامة مرتبطة بالصدى، ويأتي الصدى بمعنى الهامة وتأتي الهامة بمعنى الصدى[1].

1_2_3_ الزجر والعيافة:

لقد شاعت الكثير من المعتقدات بين العرب ومن بينها الزجر والعيافة والتطير.

أ_ الزجر:

أن تزجر طائرا أو ظبيا سانحا أو بارحا فتطيّر منه، وقد نهي عن الطيرة، والزجر: العيافة، وهو ضرب من التكهن، وزجرت الناقة بما في بطنها زجرا: رمت به ودفعته[2].

ب_ العيافة:

زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من عادة العرب[3].

والعيافة أيضا مشتقة من عفت الطير أعيفها، زجرتها، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأنواعها فيسعد أو يتشاءم، والعائف والمتكهن بالطير [4].

ومنه فالعرب تعتبر كل ما يأتي من جهة اليمين سانحا وما يأتي من جهة اليسار بارحا، يقول أبو ذؤيب الهذلي:

1_ إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، ص 644.

2- ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق على حواشيه: خالد رشيد القاضي، دار صبح بيروت، لبنان، ط1 2006، ص 18، مادة (زجر)

3_المرجع نفسه، ص 490 ،491، مادة (عيف).

4_ إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، ص 640.

فبينما يمشيـان جـــرت عقـــاب من العقبان خائتـــة دفـــوف

فقال لـه وقـــد أوحـــت إليـــه ألا للـــــــه أمـــك ما تعيـف

فقال لـــــه: أرى طـيرا ثقـــالا تخبـــر بالغنيمـــة أو تخيـــف[1]

ويقول أيضا:

زجرت لها طير الشمال* فإن تكـــن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها[2]

والزجر للطير وهو التيمن والتشاؤم والتفاؤل بطيرانها كالسانح والبارح، وهو نوع من العيافة[3]

فمن زجر طيرا وقضى لبانته تفاءل باتجاهها، ومن لم يقض لبانته (حاجته) تشاءم بهذا الاتجاه نفسه يقول:

اربـــــــت لإربتـــه فانطلـــق ت أزجى لحـب اللقاء السنيحـــا[4]

ج_ التطير:

أو الطيرة ومشتقة من الطيران أو الطير ثم تجاوز العرب الطير فتطيروا بالحيوان والنبات والجماد والإنسان[5].

يقول أبو ذؤيب الهذلي:

1_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 105.

2_ المصدر نفسه، ص 58.

* طير الشمال: طير شؤم.

3_ ابن منظور: لسان العرب، ص 18 مادة (زجر).

4_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 111.

5_ إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، ص 639.

وقال لقـــــد خشيـــت وأنبأتنـــي به العقبان لـــو أنـــي أعيـــف*[1]

ملاحظة: لقد نهى الله الرسول الله صلى الله عليه وسلم عن التطير والعيافة والزجر، فهي: ضرب من التكهن، **قال تعالى: (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ)** سورة الأعراف: الآية، 131.

مما سبق يمكن القول أن كل من الهامة والصدى، الزجر والتطير والعيافة، هي قرائن دالة على الموت والشر والخير بالرغم من أنها معتقدات برزت عند العرب بسبب جهلهم، وقد نهى عنها نبينا الكريم عليه الصلاة وأزكى السلام، ومنه فشاعرنا يتشاءم من الدهر وعنته بالرغم من أنه يؤكد حتمية الموت، وهي منطلق للحديث عن فكرة التأمل والإحساس بالموت.

1_3_ التأمل والإحساس بسلطة الموت:

لقد وقف الشاعر الهذلي عند الموت، وفكر فيه وتأمله وعكس ذلك بما نظمه من أشعار مبديا فيها مشاعره الوجدانية ومعاناته النفسية وانتهى به التأمل والتفكير في الحياة وما آل إليه مصير الأحياء إلى أن الموت حتمية مطلقة ومورد لابد من وروده حيث قال:

تالله يبقـــى على الأيام مبتقـــل جون الســـراة رباع سنـــه غـــرد

في عانة بجنوب الســـي مشربهـــا غور ومصدرهـــا عن مائهـــا نجـــد[2]

من خلال هذين البيتين يتضح لنا أن الشاعر يؤكد على حتمية الموت، كما يقر بأنه طال العمر أم قصر واستقر في نفسه أنه ليس بمنجاة عن الموت[3].

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 106.

* أني أعيف : أني أزجر.

2_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 60.

3_ محمد يوسف عبد العزيز غريب: اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام، ص 194.

ويؤكد في قصيدة أخرى على حتمية موت كل كائن حي حيث قال:

يا مي إن سبـــاع الأرض هالكـــة والعفـــر والأدم والأرءام والنـــاس

تا الله لا يأمــن الأيـــام مبتـــرك في حومـــة الموت رزام وفـــراس[1]

من خلال هذين البيتين يتضح لنا أن أبا ذؤيب الهذلي يؤكد لنا على أن كل من على الأرض فان، فلا السباع، ولا العفر ولا الأدم ولا الأرءام ولا الناس باقون، فلا سبيل لأحد إلى الخلود الكامل في هذه الحياة.لقد أبدى الشاعر تشاؤما من الحياة مادام الموت يتراءى بين عينيه، كما عكس أسى في نفسه على فراق أبنائه، فأصبحت حياته من دونهم لا طعم لها ولا طيب عيش فيها ومن ذلك قوله:

أمـــن المنـــون وريبهـــا تتوجـــع والدهر ليس بمتعـــب من يجـــزع

قالـــت أميمـــة مـا لجسمـــك شاحبـا منذ ابتذلت ومـــثل مالـــك ينفـع

أم لجنبـــك لا يلائـــم مضجعـــا إلا أقض عليـــك ذاك المضجـــع

فأجبتهـا أن مـــا لجسمـــي أنـــه أودى بنـــي من البلاد وودعـــوا

أدوى بنـــي وأعقبونـــي حســـرة بـــعد الرقـــاد وعبـــرة لا تقلـــع[2]

يتضح من خلال هذه الأبيات أن الشاعر يتوجع ألما وحسرة على فقدانه لأبنائه مشيرا أن الدهر لا يتراجع عما يفعل، فلا فائدة إذن من الحزن والتوجع، والدليل على ذلك سؤال أميمة الذي كان معبرا عن حالته التي آل إليها بعد فقدانه لأبنائه فهو يبكيهم بجزع لكن سرعان ما يتذكر أن الموت حق وأن أبنائه كانوا أمانة استردها خالقهم.

1 – أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 122.

2_ المصدر نفسه، ص 47 ،48.

إن الدارس للشعر الجاهلي يلحظ أن حتمية الموت حقيقة موجودة عند كل الشعراء الجاهليين لا الشاعر فقط، وخير دليل على ذلك قول أبو خراش الهذلي يعزي نفسه بعد فقدانه لابنه ويؤكد بأن الموت مقدر على الناس جميعا، إذ يقول:

أتته المنايا وهو غـــض شبابه وما للمنايا عن حمى النفس من عزم

وكل امرئ يوما إلى الموت صائر قضاء إذا ما حـــان يؤخـــذ بالكظم*

وما أحد حي تأخـــر يومـــه بأخلد ممن صار قبل إلـى الرجـم**

سيأتي على الباقين يوم كما أتى على من مضى حتم عليه من الحتم[1]

ومما يؤكد أيضا على حتمية الموت عند الشعراء الجاهليين قول طرفة بن العبد:

أرى الموت يعتام* الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشـــدد**

أرى العيش كنزا ناقصـــا كل ليلـــة وما تنقص الأيام والدهر ينفـذ***

لعمرك إن الموت ما أخطـــأ الفتى لكا لطول المرضى وثناياه****باليد**[2]

من خلال هذه الأبيات نلحظ إلى أن طرفة بن العبد هو الآخر يؤكد على حتمية الموت فهو في بداية المعلقة وصف لنا الناقة وهي معادل موضوعي للحياة وفي هذه الأبيات

1_ الهذليين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1995، ج2، ص 153.

* الكظم : مخرج النفس.

** الرجم : قبر .

2- طرفة بن العبد: الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002، ص26.

* يعتام : يختار.

** الفاحش المتشدد : شديد البخل.

*** ينفد : ينتهي

**** ثناياه : الطوي والرد .

ذكر لنا الموت أي أنه يريد القول بأن مآل الحياة الموت، فهو يقر بأن الموت حتمي ولا مفر منه.

لقد نزع الشاعر إلى تأكيد حتمية الموت، فنهاية كل الكائنات هي الموت وأنه مهما حاول الإنسان الخلاص منه بشتى السبل فإنه يدركه أينما كان ومن ذلك ما عبر عنه أبو ذؤيب الهذلي في قوله:

يقولون لي لو كان بالرمل لم يمـــــت نشيبة والطـــــراق يكـــذب قيلهـــا

ولو أنني استودعته الشمس لارتقـــت إليه المنايا يا عينهـــــا ورسولهـــــا[1]

من خلال البيتين نلاحظ أن حتمية الموت لنشيبة باتت مسألة مؤكدة في ذهن الشاعر.

إذن نستنتج مما سبق أن كل الشعراء الجاهليين تحدثوا عن الموت وحتميته مطلقة فمآل أي شخص أو أي كائن حي هو الموت.

كما نلحظ أيضا من خلال ديوان أبي ذؤيب الهذلي أنه يتناول الحيوان وصراعه مع الموت وهذا ليصور لنا صراع أبنائه مع الموت ونلاحظ أن الموت انتصر في كلا الحالتين فالدنيا لا تبقى على حالها، والموت هو حتمية كل كائن حي، فنلاحظ أن الشاعر صور لنا الحمار الوحشي وصراعه لأجل البقاء تصويرا رائعا وكذلك الثور الوحشي، بالإضافة إلى المعركة التي كانت بين الفارسين والتي انتهت كلها بالموت وهو في عينيته التي رثى فيها أبناءه وجد عزاء لنفسه فيها حيث يقول:

والـــدهر لا يبقى علـــــى حدثانـــــه جون الســـراة له جدائـــــد أربـــــع[2]

ويكمل وصفه إلى أن يقول:

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 100.

2- المصدر نفسه، ص50 .

والدهر لا يبقـــى علـــى حدثانـــه شبب أفزتـــه الكـــلاب مـــروع[1]

ثم يسترسل في وصفه حتى يصل إلى المقطوعة 3 فيقول فيها:

والدهر لا يبقـــى علـــى حدثانـــه مستشعر حلق الحديـــد مقنـــع[2]

نستنتج من هذه الأبيات أن الشاعر متشاءم بالدهر، كما أنه يحس بعدم الأمان منه (الدهر) وبريبه وقسوته، فالحياة تحمل الحزن والألم.

من خلال العناصر السابقة نخلص إلى أنه بالرغم من الحزن والأسى والألم والتشاؤم الذي سيطر على الشاعر وخلق له نظرة سوداوية للحياة، إلا أنه بقي له بصيص من الأمل والتفاؤل.

2_ بوارق الأمل:

لم يعرف الشاعر وقبيلته الاستقرار، ولما جاء الإسلام زرع عندهم التفاؤل بالحياة ونلحظ هذا من خلال شعره إذ وصف لنا العشب والكلأ والماء وهذه دلالة على الربيع والربيع كما نعلم جعله الله فصلا للتزاوج والتكاثر وهذا بسبب دفء الجو وطول النهار وكثرة الغذاء وهي رمز لتجدد الحياة والتكاثر والإخصاب حيث يقول:

فهن صعر إلـى هدر الفنيق ولـــــم يجفر ولم يسله عنهن إلقـــاح [3]

فالفحولة دالة على القدرة الجنسية وهي الأخرى ترمز إلى التكاثر وتجدد الحياة، كما رمزت الإبل المتمثلة بالفحل في سياق صورة البرق والمطر الهاطل المبشر بالخير إلى الخصوبة، ففي الإخصاب رمز للانبعاث ونمو الحياة، فإخصاب الإبل وولادتها وإلقاحها

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 53.

2- المصدر نفسه، ص55 .

3_ المصدر نفسه، ص 97.

تشبيه للسحب وولادتها للبرق والرعد والمطر وفيه دلالة رمزية للإلقاح، الإخصاب، الولادة (التكاثر)، حيث يقول:

أمنك برق أبيت الليل أرقبه كأنه في عراض الشام مصباح

يجش رعدا كهدر الفحل تتبعه أدم تعطف حول الفحل ضحضاح [1]

اقترنت الغزالة بصورة المرأة فالشاعر يعشق جيدها وعينيها ويشبهها بمحبوبته، وقد قدمها لنا في مشهد من الطبيعة الرائعة، ولم تأت في صورة الموت.

إذن فهي إحدى بوارق الأمل لديه، فالإعجاب يولد الحب والحب تكون نتيجته الزواج الذي يؤدي إلى التكاثر وهو رمز للتجدد وبعث الحياة من جديد.

بالإضافة إلى أن الموت يعد جزءا من العقيدة التي يؤمن بها الشاعر، وهذا ما يخفف من حزنه، ويواسيه ويعزيه لأنه يعلم بأن الموت نهاية لكل البشر، يقول أبو ذؤيب الهذلي:

مستقبل الريح تجري فوق منسجه إذا يراع اقشعر الكشح والعضد

يرمي الغيوب بعينيه ومطرفه مغض كما كسف المستأخذ الرمد[2]

فالريح تمر بين يديه ومن فوقه ومن أسفله، واقشعراره وبرده وتقلب لونه يدل على ما يكتنفه من مخاوف، كما أنه يرمي الغيب بطرفه حذرا وحرصا، وهذا فيه شيء من الاستسلام والإذعان للموت، فهذه الصورة فيها إيمان بأن الموت نهاية الخلائق كافة، الإنسان منها والحيوان وهذا ما يعزيه ويبعث فيه الأمل والتفاؤل.

1_ أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، ص 97.

2_ المصدر نفسه، ص 60.

إن المراعي الخصبة والأرض المخضرة وما فيها من كلأ وماء تدل على أنه فصل الربيع والذي يكثر فيه التزاوج والتكاثر ومنه فهو رمز للإخصاب والانبعاث وتجدد الحياة وهذا إحدى بوارق الأمل لدى شاعرنا أبي ذؤيب الهذلي.

مما سبق يمكن القول أن أبا ذؤيب الهذلي يبدو حزينا متشائما من الدهر فنراه يصف لنا جل مظاهر الطبيعة من صراع الحيوان ووصف للطبيعة لكنه بالرغم من تشاؤمه من الحياة وحزنه الذي برز من خلال تسمعه للحيوانات والتطير وزجر للطير والإحساس والتأمل بسلطة الموت إلا أنه كانت لديه مسحة وبريق من الأمل والتفاؤل.

الخاتمة

قد يبدو بحث الحيوان في الشعر العربي مجرد بحث هامشي بالنسبة لمتن النص أو جزئية لا تكاد تمثّل شيئا من كل القصيدة، إلا أن هذه الرحلة الممتعة التي جال بي فيها بحث "الحيوان في ديوان أبي ذؤيب الهذلي" قد أبرزت:

- رسوخ فكرة أنّ الحيوان لم يزل قَسيمَ الإنسان منذ وجودهما.

- أرّخ الشعر العربيّ لعلاقة (الإنسان/الحيوان) ورسّخها.

- مثّل الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذليّ مَعرِضاً للتأمّل في الحياة وتقلّباتها وتصاريفها.

- كشف شعر أبي ذؤيب كثيرا من طبيعة الحياة الهذليّة وبخاصّة في جاهليّتها.

- وظّف الشاعر أبو ذؤيب الحيوان في قصائده، بحسَب ما تقتضيه الحالة الشعورية في كلّ مرّة، ليحضر الحيوان في الأغراض الشعريّة على اختلافها؛ في النسيب وفي الرثاء وفي التعزّي وغيرها.

- كثيرا ما يوسّع أبو ذؤيب الصورة التشبيهية مستفيدا من معرفته بالحيوان وضُروبِ عيشه.

- ارتبط حضور الحيوان في شعر أبي ذؤيب بكثير من القيم والمعاني؛ كالكرم والشجاعة والمروءة والخيانة... وكالقوّة والضعف والصدق والحنان..

- اختصّ شعراء هذيل، من بين شعراء العرب، بوصف النحل واللآلئ وبالإجادة في ذلك ولم يشذّ أبو ذؤيب... في حين نجد نوعا من القصور والتأخّر في وصف الفرس حيوانِ العرب الأثير؛ وهذا راجع إلى طبيعة بلادهم التي سكنوها.

- مثّل الحيوان بصدق في ديوان أبي ذؤيب معادلا موضوعيّا للصراع.

وليس لي في الأخير إلاّ التنبيه إلى أنّ كثيرا من القنوات الفضائيّة العالميّة اختصّت بدراسة الحيوان، لغاية سامية هي الحفاظ على البيئة، وعلى الإنسان المحكوم بهذه البيئة ويشفع لهذا العمل أنه سعى لإنارة جانب من الثقافة الإنسانيّة لدى شعراء العربيّة الأوائل مترقّبا أبحاثا أخرى أكثر دقّة وأكثر جرأة.

الملحق

التعريف بالشاعر:

هو أحد شعراء قبيلة هذيل بل هو أحسنهم حيث قال ابن سلام: "قال أبو عمرو بن العلاء: سئل حسان بن ثابت من أشعر الناس؟ قال: أحيا أم رجلا؟ قالوا: حيا، قال: أشعر حياّ هذيل وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤيب"[1].

وهو خويلد بن خالد بن محرث بن زيد بن مخزوم بن صاهلة بن مضر بن نزار المعروف بأبي ذؤيب الهذلي، وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام، أسلم فأحسن استلامه ومات في غزاة افريقية[2] .

وقيل أنه مات بمصر بسبب لدغ حية له سنة (28هـ/ 649م)[3]، وكان أبو ذؤيب راوية لساعدة بن جؤية الهذلي[4].

نقل السكري عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن: أبو ذؤيب كان أسجر العينيين جاحظهما، قصيرا أحمر، السجرة: حمرة في بياض[5]، ولأبي ذؤيب قصائد كثيرة منثورة في مجاميع الأدب أشهرها عينيته التي رثى بها أولاده الخمسة، وقد كانت لها شهرة واسعة [6].

ويعد شعره سهل تلينه العاطفة وتوسوس بين ألفاظه أنفاس خيال حسي لا يجمع ولا يبتعد عن الواقع، والغريب الذي نجده في شعره لا يغص من سلاسة ولا يحد من

1_ أبي فرج الأصفهاني: الأغاني، تح: إحسان عباس وآخرون، دار صادر بيروت، مجلد6، ط1، 2002/1423 ص187.

2_ المرجع نفسه، ص 187.

3_ عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)، دار العلم للملايين، ط4 1981، ص 291.

4_ المرجع نفسه، ص 290.

5_ السكري: شرح أشعار الهذليين، ص3.

6_ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 415.

تأثيره[1]،وأكثر شعره مراث له أيضا شيء من الخمريات من وصف الخيل وبراعة في الطرد وأيضا في وصف النحل والعسل خاصة، كما أن له أيضا قصائد أخرى قصرها على الغزل[2]، كما يمتاز شعره بالفصاحة وسلامة الطبع والفطرة حتى أن الشعر ينسال من لسانه بسلاسة دون تكلف.

1_ حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم ، ص 416.

2_ ينظر، عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ص 291.

المصادر
والمراجع

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

I. المصادر:

1- أبو ذؤيب الهذلي: الديوان، تح: تخ: أحمد خليل الشال، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، ط1، 2015م.

II. المراجع:

1- إسماعيل داود محمد النتشة: أشعار هذيل وأثرها في محيط الأدب العربي، د ط، دت ج1985،2م.

2- الحسن بن الحسين السكري :شرح أشعار الهذليين تحقيق عبد الستار فراج ومحمود شاكر، مكتبة دار العروبة، القاهرة، د ط، دت.

3- طرفة بن العبد: الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2002.

4- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من مطلع الجاهليين إلى سقوط الدولة الأموية)، دار العلم للملايين، ط4،1981م.

5- أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني: الأغاني ،تحقيق احسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت، المجلد 6، ط1، 2002م.

6- أبو الفضل أحمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني: مجمع الأمثال تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط2، 1987م.

7- نصرت عبد الرحمان: الواقع و الأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، د ط، 1980م.

8- نورة الشملان: أبو ذؤيب الهذلي حياته وشعره، عمادة شؤون المكتبات جامعة الرياض د ط، 1980م.

9- الهذليين، ديوان الهذليين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1995، ج2.

III. المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب، ضبط نصه وعلق على حواشيه: خالد رشيد القاضي، دار صبح، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

IV. الرسائل الجامعية:

1- محمد يوسف عبد العزيز غريب: اتجاهات الشعر عند الهذليين في الجاهلية والإسلام دراسة موضوعية فنية، قسم اللغة العربية وآدابها، عمادة البحث والدراسات العليا، مي أحمد يوسف، جامعة اليرموك،2012م.

V. الدوريات:

1- إحسان الديك: الهامة والصدى، صدى الروح في الشعر الجاهلي، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، مج 13، العدد2، 1999م.

فهرس الموضوعات

الرقم	العنوان	الصفحة
	مقدمة	أ+ب
الفصل الأول : الحيوان والأغراض الشعرية		
1	الحيوان في الرثاء.	6
2	الحيوان في النسيب (الغزل).	9
3	الحيوان في الفخر.	14
4	الحيوان في المدح.	15
5	الحيوان في الحنين.	16
6	الحيوان في الحكمة.	16
7	الحيوان في المثل الشعري.	19
الفصل الثاني : صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي		
1	الحيوانات الأليفة.	22
1-1	الناقة.	22
2-1	الخيل.	25
2	الحيوانات المتوحشة.	26
1-2	الحمار الوحشي.	26
2-2	الثور الوحشي وبقرته.	29
3-2	الظبي.	30
3	الحيوانات الضارية.	31
1-3	الذئب.	31
2-43	الأسد.	32
4	الطيور.	33
1-4	الطيور المستأنسة.	33
1-1-4	الحمامة.	33

2-1-4	الديك.	33
2-4	الطيور غير المستأنسة.	34
1-2-4	طير الحبارى.	34
3-4	الطيور الجارحة.	34
	الزواحف وغيرها .	35
1-5	الحية.	35
2-5	الضفادع.	35
6	النحل.	36
الفصل الثالث: الحيوان وعاطفة الشاعر		
1	غلبة الحزن.	40
1-1	التسمع لأصوات الحيوانات.	40
2-1	الطيرة.	42
1-2-1	الهامة.	42
2-2-1	الصدى.	42
3-2-1	الزجر والعيافة.	43
3-1	التأمل والإحساس بسلطة المو.	45
2	بوارق الأمل.	49
الخاتمة		53
الملحق		56
المصادر والمراجع		59
الفهرس		62
الملخص باللغة العربية وباللغة الفرنسية		65

الملخص

تناولت في دراستي هذه الحيوان عند أبي ذؤيب الهذلي، دراسة موضوعاتية فنية وقد كانت هذه الدراسة وفق خطة هي كالآتي:

الفصل الأول جاء بعنوان الحيوان والأغراض الشعرية؛ تناولت فيه الحيوان في كل من الرثاء،النسيب، الفخر، المدح، الحنين، الحكمة والمثل الشعري.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان صورة الحيوان في شعر أبي ذؤيب الهذلي استخرجت الحيوانات وقسمتها إلى الحيوانات الأليفة، الحيوانات المتوحشة، الحيوانات الضارية الطيور بأنواعها المستأنسة والغير مستأنسة والجارحة يليها الزواحف وغيرها بعد ذلك النحل.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان الحيوان وعاطفة الشاعر تناولت فيه غلبة الحزن وبوارق الأمل لدى شاعرنا.

وفي خاتمة البحث توصلت إلى نتائج كانت محط إجابة على التساؤلات المطروحة.

الكلمات المفتاحية:

- الحيوان.
- أبو ذؤيب الهذلي.
- العاطفة.
- الأغراض.

Je me suis occupé dans cette étude **« Les animaux chez Abu Dhu'aybHoudhali** ».

C’est une étude technique et objective qui était en conformité avec le plan suivant:

Le premier chapitre intitulé **« Les animaux et les fins poétiques»**, traite avec l'animal dans les Lamentations, la fierté, la louange, la nostalgie, la sagesse et la parabole poétique.

Le deuxième chapitre intitulé**« L'image animale dans la poésie d'Abu Dhu'aybHoudhali »**, on a extraire des animaux et on a les divisé en animaux domestiques, les animaux sauvages, les oiseaux de toutes sortes sauvages et domestiques, les reptiles et enfin les abeilles.

Le troisième chapitre intitulé **« L'animal et la passion du poète »**, traite de la prédominance de la tristesse et des rayons d'espoir chez notre poète.

À l'issue de la recherche, nous avons obtenu les résultats qui répondent aux questions posées.

Mots clés:

- **L’animal**
- **Abu Dhu'aybHoudhali**
- **La passion**
- **Les fins.**